

ماهر الشريف*

صدقية السيرة الذاتية كمصدر للتاريخ: مذكرات أحمد الشقيري

عندما اخترت أن أكتب عن مذكرات أحمد الشقيري كان في ذهني أن أقصر بحثي على تحليل هذه المذكرات كمصدر لدراسة المرحلة التأسيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، خلال فترة 1963 – 1967، على اعتبار أن أحمد الشقيري قام بالدور الأبرز في تأسيس المنظمة وقيادتها خلال تلك المرحلة. لكنني عندما بدأت الغوص في مذكراته وجدت نفسي مدفوعاً إلى التعامل معها على أنها موضوع للدراسة قائم بذاته، فانكبت على تشريحها لأستكشف طبيعتها، وبواعثها، وموضوعاتها، وفحوى الرسالة التي حملتها إلى قارئها. وعليه، فإن ورقتي هذه** تنقسم قسمين: الأول يعالج مذكرات الشقيري بصفتها موضوعاً للدراسة قائماً بذاته، والثاني يحلل هذه المذكرات، أو بالأحرى أجزاء كبيرة منها، كمصدر لدراسة المرحلة الأولى من مراحل تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية، التي أطلق البعض عليها اسم مرحلة "منظمة الشقيري". ■

القسم الأول:

مذكرات أحمد الشقيري كموضوع للدراسة

في تقديمه لمذكرات أحمد الشقيري، التي جمعت في مجلدين من 1939 صفحة من القطع الكبير، وصدرت ضمن أعماله الكاملة في بيروت سنة 2006 عن مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، كتب الباحث الفلسطيني المعروف أنيس صايغ ما يلي: "إلا إن فناً معيناً تفوق فيه أحمد الشقيري على نفسه وعلى غيره من السياسيين – الكتاب العرب، وعلى المثقفين بوجه عام. إنه فن السيرة الذاتية. إن كتبه الثلاثة في تاريخ حياته وأعماله هي، برأيي، الثالثة بعد الأيام لطف حسين وحياتي لأحمد أمين (وهما سيّدَا السيرة الذاتية، وقد مضى على صدورهما أكثر من نصف قرن). وإن تفوق العملان الرائدان في التصوير الأدبي الفني، فقد تفوقت كتب الشقيري في الوصف السياسي العملي. يضيف إلى قيمة السيرة الشقيرية ما اكتنزه الرجل في كتاباته من صدق وجرأة ودقة وأمانة وصرامة" (أنظر: أحمد الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (1)، المجلد الأول"، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ولجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، آذار/مارس 2006، ص 15).

حول شخصية كاتب المذكرات

ولد أحمد الشقيري سنة 1908 في قلعة تبنين في لبنان، حيث كان والده الشيخ أسعد معتقلاً في عهد السلطان عبد الحميد. وكان والده عضواً في مجلس المبعوثان ومن الأعضاء البارزين في جمعية الاتحاد والترقي. وبعد انفصال والديه، استقر مع والدته، التركية الأصل، في مدينة طولكرم، ومنها انتقل، في صيف سنة 1916 بعد وفاة والدته، إلى مدينة عكا حيث كان يقيم والده. ثم تابع دراسته، مع أخيه أنور، في مدينة القدس في مدرسة صهيون الداخلية، التي تخرّج منها سنة 1926. وبعد أن التحق فترة قصيرة بالجامعة الأميركية في بيروت، عاد إلى القدس وأنهى دراسة المحاماة في معهد الحقوق أواخر سنة 1933.

وكان أحمد الشقيري بدأ منذ الثلاثينيات نشاطه السياسي في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية، حين تطوع للدفاع عن المناضلين الفلسطينيين في سجون سلطات الانتداب البريطاني، ثم شارك في أحداث ثورة 1936، واعتقل وأمضى عدة أشهر في السجن. بعد الإفراج عنه، انتقل إلى دمشق ومنها إلى بيروت، حيث صار يعمل، في الميدانين السياسي والإعلامي، إلى جانب الحاج محمد أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا.

عند نشوب الحرب العالمية الثانية، طلبت سلطات الانتداب الفرنسي من اللاجئين الفلسطينيين مغادرة لبنان، فانقل الشقيري إلى القاهرة حيث ربطته علاقة وثيقة بموسى العلمي، مندوب فلسطين إلى الاجتماعات التي مهدت

لقيام جامعة الدول العربية، الذي كلفه السفر إلى واشنطن لتأسيس مكتب عربي، فسافر إلى العاصمة الأميركية في تموز/يوليو 1945 حيث أمضى بضعة أشهر عاد بعدها إلى فلسطين. ومنذ سنة 1946، أصبح يعمل، بناء على طلب الرئيس السوري شكري القوتلي، مستشاراً للوفد السوري في جامعة الدول العربية، وصار يشارك في عضوية الوفود التي كانت ترسل إلى اجتماعات هيئة الأمم المتحدة. وفي مطلع شباط/فبراير 1951، عُيّن أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية، لكن سورية اشترطت أن يظل معاراً للعمل مع الوفد السوري في الأمم المتحدة. وفي سنة 1957، وافقت الحكومة السورية، بناء على طلب من الملك سعود، على إعارة الشقيري ليكون ممثلاً للمملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة، حيث بقي في هذا المنصب حتى آب/أغسطس 1963، عندما قرر الأمير فيصل، ولي العهد، إنهاء عمله بسبب الخلاف الذي وقع بينهما بشأن أزمة اليمن. بعد أسابيع قليلة، رُشِح الشقيري لشغل منصب ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية، وذلك بعد وفاة أحمد حلمي عبد الباقي رئيس حكومة عموم فلسطين. وعلى هذا الأساس، كلفه مؤتمر القمة العربي، الذي عقد في القاهرة، في كانون الثاني/يناير 1964، الاتصال بالدول العربية وبالشعب الفلسطيني بهدف الوصول إلى "إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره". وقد استند الشقيري إلى هذا القرار للعمل على إحياء الكيان الفلسطيني، ونجح فعلاً في أيار/مايو من السنة نفسها في عقد المؤتمر الفلسطيني الذي أسفر عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية. بقي الشقيري على رأس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى كانون الأول/ديسمبر 1967، عندما فرضت عليه الاستقالة. غير أن انسحابه من الحياة العامة لم يمنعه من مواصلة دوره الوطني، وذلك إلى أن أقعده المرض، وتوفي في عمان في 26 شباط/فبراير 1980، ودفن تنفيذاً لوصيته على تخوم فلسطين في منطقة الأغوار.

أعار الشقيري، إلى جانب ولعه بعلوم اللغة العربية، التاريخ العربي اهتماماً كبيراً، ولا سيما مرحلة النضال ضد غزوات الفرنجة والتتار، إذ كان يحب العودة باستمرار - كما يذكر - إلى سير نور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس، ليستخلص منها العبر والدروس (معلوماتنا عن سيرة أحمد الشقيري وشخصيته أخذناها من: خيرية قاسمية، "أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً قومياً"، الكويت: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، 1987، ص 35 - 117).

متى كتب

أحمد الشقيري مذكراته؟

كتب أحمد الشقيري مذكراته بعد أن استقال من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية في كانون الأول/ديسمبر 1967. وقد صدرت الأجزاء الستة منها في بيروت، ما بين سنة 1969 وسنة 1973، أي بعد أعوام قليلة من انسحابه من الحياة السياسية العامة.

ويبدو أن الشقيري كان يدون أولاً بأول في يومياته ما يشهده من أحداث، أو ما يدور بينه وبين الآخرين من حوارات. أما صدور مذكراته السياسية في بيروت، فلم يكن مستغرباً، إذا ما أخذنا في الاعتبار أجواء حرية التعبير والنشر التي كانت تسود في العاصمة اللبنانية وتميزها من غيرها من العواصم العربية.

ما هي البواعث التي دفعت

أحمد الشقيري إلى كتابة مذكراته؟

من المعروف أن رجل السياسة يكتب مذكراته ويدلي بشهادته على الأحداث نتيجة رغبته في أن يبقى ما كان شاهداً عليه حياً بعد رحيله، أو نتيجة رغبته في تثقيف الآخرين بالدروس والعبر التي استخلصها من تجربته، أو رغبته في التدخل في الحياة السياسية والمشاركة في السجلات الدائرة فيها حتى بعد انسحابه من الحياة السياسية العامة، أو بهدف تبرير مواقفه وإضفاء شرعية على الذات والرد على شهود آخرين عارضوه أو وجهوا إليه انتقادات معينة.

ويبدو من مذكرات أحمد الشقيري أنه كتبها كشكل من أشكال التعبير عن حزنه وغضبه من المآل الذي آل إليه الواقع العربي بعد حرب حزيران/يونيو 1967، وبهدف تعرية السياسات الرسمية العربية أمام الجمهور العربي، ولا سيما أمام "أجياله الصاعدة"، وكشف الأسباب الحقيقية التي كانت، في نظره، وراء الهزيمة الكبرى التي لحقت

بالعرب جراء تلك الحرب، والتي حملَ الملوك والرؤساء العرب مسؤوليتها. كما كتبها بهدف تبرير أفعاله وآرائه ومواقفه، وخصوصاً بعد الحملة الشديدة التي استهدفته في نهاية حياته السياسية العامة. لكنه، وهو يفعل ذلك، لم يجد حاجة إلى الرد المباشر على الانتقادات الكثيرة التي وجهت إليه، حتى من زملائه الذين أخذوا عليه استثنائه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وتفردته باتخاذ القرارات السياسية فيها. وعليه، فقد غاب النقد الذاتي غياباً تاماً عن مذكراته، إذ لم يعتذر، على مدى ألفي صفحة تقريباً خلفها لنا، سوى مرة واحدة، وذلك عندما أشار في مقدمة كتاب "على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء" إلى أنه لا يعتذر سوى عن خطأ كبير واحد ارتكبه، وهو سيره "مع الملوك والرؤساء في مسيرة الأعوام الأربعة التي انتهت بحرب الأيام الستة"، مؤكداً أنه لو عادت به عجلة الزمن إلى الوراء لآثر أن يعمل "مدرساً في روضة الأطفال" بدلاً من العمل "مع الملوك والرؤساء" (أنظر: أحمد الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ولجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، نيسان/أبريل 2006، ص 1222).

طبيعة مذكرات أحمد الشقيري

يمكن القول إن أحمد الشقيري خلف لنا مذكرات سياسية غنية، إذ لم يقتصر على رواية الأحداث بل عرض أيضاً وجهة نظره فيها، وعالج قضايا سياسية مهمة، كما عرفنا على الشخصيات التي ارتبطت بهذه القضايا، ولا سيما من ملوك ورؤساء عرب؛ فكانت مذكراته تاريخ حقبة كاملة من خلال شخص شارك مشاركة فعالة في أحداث تلك الحقبة التي كتب عنها.

لكن كيف عرف أحمد الشقيري مذكراته؟

لقد شدد أكثر من مرة على أن مذكراته هي أقرب إلى السيرة الذاتية، إذ أشار في مقدمة كتابه الأول "أربعون عاماً... في الحياة العربية والدولية"، إلى أن ما كتبه ليس أكثر من "سيرة مواطن عربي عاش الحياة العربية العامة، فسار في موكبها وتمرس بأحداثها، وساهم في صنع وقائعها، عبر حقبة حافلة، امتدت قرابة أربعين عاماً ويزيد"، واصفاً مذكراته بأنها: "ليست مرجعاً تاريخياً، ولا دراسة سياسية، ولا خطة قومية، ولا كتاباً أدبياً إنسانياً، ولكنها مزيج من كل ذلك" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (1)، المجلد الأول"، مصدر سبق ذكره، ص 111، 118).

ولكون الشقيري ضليعاً في اللغة العربية فقد صاغ مذكراته بأسلوب لغوي جميل لم يعدم الطرافة. فعلى سبيل المثال، كتب في تفسيره لحيثيات تبني شعار "إزالة آثار العدوان" ما يلي: "انهزم الملوك والرؤساء الهزيمة الكبرى في معركة الأيام الستة في حزيران/يونيو عام 1967، وتوالت بعد ذلك الهزائم السياسية واحدة بعد الأخرى، تماماً كالمسبحة المفروطة حين تتساقط حبة بعد حبة [...] وفرّ الملوك والرؤساء إلى مخابئهم، إلى قصورهم، يفكرون في طمس معالم الجريمة بإطلاق شعار جديد يكون ملهاتة للجماهير، يخرّرها ويعزّيها ويسليها. ومن هنا جاء الشعار الجديد: (إزالة آثار العدوان) بعد الهزيمة، وكان تدمير إسرائيل وتحرير فلسطين هو الشعار السابق الذي أعلنه الملوك والرؤساء قبل الهزيمة، في مؤتمرات القمة الثلاثة: في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1797 – 1798).

ما هي الموضوعات التي

عالجتها مذكرات أحمد الشقيري؟

اعتمد أحمد الشقيري منظوراً كرونولوجياً في كتابة مذكراته، التي بدأت مع طفولته الباكورة وانتهت بانسحابه من العمل السياسي القيادي.

وقد قسم كل كتاب من كتبه فصولاً قصيرة، حمل كل واحد منها عنواناً معبراً، وأحياناً طريفاً. وكان يتقصد في أحيان كثيرة، وكتعبير عن تأثره بالإسلام، أن ينهي فصول مذكراته بآيات من القرآن. كما كان يلجأ إلى إيراد نصوص بعض الوثائق، مثل الخطب التي ألقاها في مؤتمرات القمة، أو في مناسبات أخرى، أو ألقاها بعض الملوك والرؤساء، وكذلك الرسائل التي وجهها، أو القرارات التي صدرت عن مؤتمرات القمة، إلخ. استعرض الشقيري في الكتاب الأول من مذكراته، المعنون "أربعون عاماً... في الحياة العربية والدولية"، مراحل حياته منذ طفولته إلى سنة 1963، وتطرق في الكتاب الثاني، الذي حمل عنوان "حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء"، إلى مسيرة الوحدة العربية منذ سنة 1920 حتى نهاية ستينيات القرن العشرين تقريباً، مستعيداً ذكرياته عن

الحوارات التي أجراها مع الملوك والرؤساء العرب. وفي كتاب "من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، وهو الجزء الأول من ثلاثة أجزاء متكاملة، تناول الأحداث التي سبقت انعقاد مؤتمر القمة في القاهرة والإسكندرية (1963 - 1964)، وسرد في الجزء الثاني، الذي حمل عنوان "على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، مداولات مؤتمر القمة العربية الثالث في الدار البيضاء (أيلول/سبتمبر 1965). بينما تطرق في الجزء الثالث، الذي تكون من قسمين وحمل عنوان "الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء"، إلى الأحداث العربية والدولية التي أفضت إلى حرب حزيران/يونيو 1967 والهزيمة التي لحقت بالعرب، وتفصيلات مؤتمر القمة العربية الرابع الذي عقد في الخرطوم في آب/أغسطس 1967، والظروف التي أدت إلى انسحابه من ذلك المؤتمر، ومن ثم إلى استقالته من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية.

إلى مَنْ توجه أحمد الشقيري؟

إن مهمة دارس السيرة الذاتية أو المذكرات تكمن في تحليل العلاقة التي يزعم الكاتب أنه يبنيها مع قرائه، وفي تحديد طبيعة الجمهور الذي يستهدفه. والواقع أن أحمد الشقيري، الذي طمح إلى أن تكون مذكراته "سجلاً لأعظم أحداث وقعت للأمة العربية بعد الحملات الصليبية وغزوات التتار في القرون الوسطى"، قد توجه، أساساً، إلى الأجيال العربية الصاعدة والوافدة، إذ أشار في كتابه المعنون "من القمة إلى الهزيمة.. مع الملوك والرؤساء" إلى أنه كتب كتابه "ليقرأه المواطن العربي الذي شهد الكوارث الثلاث: قيام إسرائيل في عام 1948 والعدوان الثلاثي في عام 1956 وحرب حزيران/يونيو في عام 1967، وليقرأه المواطن العربي من جيل الثورة والتحرير سواء من يدب اليوم على الأرض العربية رضيعاً، أو من تختزنه الأصلاب، وتحمله البطون.. الآن وفي كل زمان" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 973).

وفي كتابه المعنون "على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، دعا القارئ العربي "إلى أن يقرأ هذه الصفحات قراءة واعية عميقة"، ليرى كيف "نجحت السياسة العربية في قيادة الأمة العربية إلى الهزيمة، وأجهزة الإعلام العربية الرسمية تردد شعارات التحرير، وتلعلع بأناشيد النصر." ومع أنه قدّر أن أجهزة الرقابة في عدد من الدول العربية ستقوم بمنع كتابه هذا، كما منعت كتبه السابقة، إلا أنه توقع، مع شيء من المبالغة، أن الكتاب "سيصل إلى المواطن العربي في الوطن العربي بأسره، ورغماً عن الدول العربية نفسها، وسيبدا له المواطنون من بيت إلى بيت ليعرفوا الحكم العربي على ضالته وضالته" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1220 - 1221).

القسم الثاني:

مذكرات أحمد الشقيري كمصدر

لدراسة تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية

سأنتقل الآن إلى القسم الثاني من هذه الورقة، لأحلل - في حدود المجال الذي تسمح به - مذكرات أحمد الشقيري بصفتها مصدراً لدراسة تاريخ المرحلة التأسيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، مستنداً في ذلك إلى الأجزاء الثلاثة من كتاب "من القمة إلى الهزيمة".

وسيكون هدفي الأول التعرف على الإضافات التي تضيفها هذه المذكرات إلى حقل دراسة تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية، بينما سيتمثل هدفي الثاني في تبيان مدى توافق المعلومات التي يوردها الشقيري مع المعلومات الواردة في مصادر أخرى تطرقت إلى المرحلة نفسها، واستندت إلى وثائق تاريخية أو إلى شهادات وذكريات شهود عيان، واكتشاف طبيعة المسكوت عنه في مذكرات الشقيري. فالمؤرخ يكون في مواجهة المذكرات، وخلافاً للسيرة الذاتية "أمام نص يتطلب التثبت منه إخضاعه للمقارنة بغيره من النصوص ذات الصلة بموضوعات المذكرات، وإبراز ما هو متفق بين النصين واكتشاف ما هو مختلف بينهما" (أنظر: عصام سخيني، "مكانة السيرة الذاتية والمذكرات في المعرفة التاريخية": في "أدب السيرة الذاتية والمذكرات في الأردن، ملتقى جامعة آل البيت الثقافي الثاني، 11 - 12 أيار 1998"، المرفق: منشورات جامعة آل البيت، 1999، ص 61 - 90).

حيثيات تأسيس

منظمة التحرير الفلسطينية

أبدأ بالنقطة الأولى لأقول إن مذكرات أحمد الشقيري تضيف معلومات غنية عن حيثيات تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في أيار/مايو 1964، إذ يروي بالتفصيل كيف تم اختياره في أيلول/سبتمبر 1963 ممثلاً لفلسطين في جامعة الدول العربية، وكيف أنه اعتذر في البدء عن القبول، ثم قبل "تحت ضغط الجماهير الفلسطينية"، وبعد أن شجعه الرئيس جمال عبد الناصر على ذلك، من خلال "رسالة شفوية" نقلها إليه السفير المصري في بيروت عبد الحميد غالب، بينما عارضت حكومتا الأردن والسعودية تكليفه هذه المهمة.

ويشير إلى الوفود الفلسطينية التي "تقاطرت" إلى بيته في لبنان، تطلب إليه أن يتولى "قيادة الحركة الفلسطينية على الصعيد الشعبي"، بعد أن انتهت صلته بـ "العمل الرسمي"، وكيف كان ضمن تلك الوفود وفد برئاسة ياسر عرفات الذي حدثه "عن منظمة فلسطينية تعد نفسها للنضال"، وطلب منه أن يتولى "قيادتها السياسية"، وكيف أنه اعتذر عن قبول ذلك لأنه همه كان العمل "مع الشعب بكل جماهيره لا مع إحدى منظماته" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 984 - 987).

كما يتطرق إلى المشكلات التي صادفته كي يضمن مشاركته، كممثل لفلسطين، في مؤتمر القمة العربي الأول، الذي عقد في القاهرة في كانون الثاني/يناير 1964، وكيف أنه ركز جهوده على أمرين: أن يكون مؤتمر القمة "لقضية فلسطين برمتها" ولا يقتصر على مناقشة موضوع تحويل روافد نهر الأردن، وأن "ينتزع" من المؤتمر قراراً "بإنشاء الكيان الفلسطيني، مهما كانت صيغته" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1004).

ويتحدث مطولاً عن اللقاءات الحاشدة التي أجراها، في سياق تحضيراته لعقد المؤتمر الفلسطيني، مع الفلسطينيين في عمان وإربد والزرقاء، وفي القدس وبيت لحم وبيت جالا والخليل ورام الله والبيرة ونابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية، وكيف أنه من أجل الحصول على موافقة الملك حسين على "مشروع الكيان الفلسطيني كما وضعه أحمد الشقيري"، وافق على أن يكتب الديوان الملكي صيغة بيان ويسجله هو بصوته لتبته إذاعة عمان، ورضي، بما لم يرض به في حياته، وهو أن يقال: "الملك حسين كتب والشقيري خطب" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1026 - 1030).

كما يتوقف عند الزيارة التي قام بها إلى قطاع غزة، فيشير إلى الاستقبال الحافل الذي لقيه من جماهيره التي كانت تطالب بالسلاح، إذ "لم يبق رجل ولا امرأة ولا طفل في البيوت في ذلك اليوم"، وعن اتفاقه مع الحاكم العسكري المصري للقطاع الفريق يوسف العجرودي على إقامة معسكر للتدريب في النصيرات، وعن الشيك الذي دفعه لهذا الأخير بقيمة "خمسة آلاف جنيه استرليني" لتأمين مستلزمات إقامة هذا المعسكر، وكيف أن ذلك المبلغ كان "الأول والأخير" الذي وقّعه وحده "من أموال القضية الفلسطينية" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1041 - 1043).

وبعد أن يعترف بأنه هو الذي صاغ مشروع "الميثاق القومي" و"النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية" في القاهرة في شباط/فبراير 1964، وبأنه لجأ إلى "الدكتاتورية" وفرضها على الملوك والرؤساء وعلى الشعب الفلسطيني، عندما بدأ التحضير لعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني، يتطرق إلى الصعوبات التي واجهها لدى اختيار مكان عقد المؤتمر، وتوجيه بطاقات الدعوة إليه، وإلى المعارضة التي لقيها من الحاج محمد أمين الحسيني، رئيس الهيئة العربية العليا، ومن "الحزبيين" ومن "جبهات تحرير فلسطين" الذين كانوا يصرون على أن يكون الكيان الفلسطيني "كياناً ثورياً". ثم يتناول الكلمات التي ألقيت في المؤتمر الفلسطيني، ويعرض بالتفصيل كلمته، التي شددت على وحدة الشعب الفلسطيني، وعلى أهمية الجانب العسكري بالنسبة إلى الكيان الفلسطيني، وعلى أن هذا الكيان لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية عن الأردن، وستكون له شخصية حرة مستقلة، وسيكون فلسطينياً وعربياً، وأن قضية فلسطين لا تحل إلا بالسلاح والكفاح، وأن الشعب الفلسطيني يرفض التقسيم والتدويل. ويذكر كيف أن المؤتمر انتخبه رئيساً، وأقر الميثاق والنظام كما قدمهما، وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وانتخبه رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وخوله اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية " (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1023 - 1024، 1039 - 1041، 1055 - 1059).

ويشير إلى أنه التقى، بعد إعلان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، أندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي، الذي قال له: "لست أدري هل أهنيك أم أعزيك، إنها (جرأة كبرى) أن تعمل لتحرير فلسطين.. " وكان يعني أنها

(حماقة كبرى)، فأجابه: "نعم إنها حماقة كبرى. ولكنها يا صديقي قضية وطن، والحماقة الكبرى من أجل الوطن تصبح حكمة كبرى. إن الحب والعقل لا يجتمعان" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1059 - 1060).

ويتطرق إلى موقفه من العمل الفدائي الفلسطيني، وإلى اللقاءات التي عقدها، بعد تأسيس منظمة التحرير، مع ممثلي "فتح"، و"أبطال العودة"، و"جبهة تحرير فلسطين"، والتي دعا فيها إلى توحيد المنظمات الفدائية بإشراف منظمة التحرير على اعتبار أنها "المؤسسة الوطنية التي تمثل الشعب الفلسطيني"، والتي باتت تتمتع بـ "شرعية كاملة على الصعيدين العربي والدولي"، كما يتحدث عن المقترح الذي تقدم به بتشكيل "مجلس ثوري سري" يضم ممثلين عن قيادة منظمة التحرير وعن قيادات المنظمات الفدائية وعن قيادة جيش التحرير الفلسطيني، وكيف أن ذلك المقترح رفضه ممثلو المنظمات الفدائية الذين كانوا يصرون على "توريث" الدول العربية وجربها "إلى الحرب مع إسرائيل"، وكانوا يأخذون عليه (الشقيري) تأثره بـ "التفكير السياسي" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1013 - 1517).

كيف يمكن التأكد من صدقية

معلومات كاتب المذكرات؟

هل يمكننا التثبت من صدقية المعلومات التي يوردها أحمد الشقيري في هذا الصدد، وخصوصاً فيما يتعلق بقدراته التنظيمية والتعبوية وعلاقاته الوثيقة بال جماهير الفلسطينية؟

للرد على هذا السؤال، سأعود إلى مذكرات واحد من القادة الفلسطينيين الذين عايشوا عن قرب مرحلة تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وشغل منصب مدير مكتبها في بيروت، قبل أن يختلف مع رئيسها، وهو شفيق الحوت، الذي يعترف بأن الشقيري كان يمتلك "قدرات هائلة، وهو بحكم مهنته كمحام وكدبلوماسي، يتقن الحديث إلى مستمعيه حتى حدود الاستئثار بالكلام [...] وأثبت أنه سيد المنابر وصاحب (كاريزما) تستميل الجماهير، وقد استمالها فعلاً على الرغم من كل (السلبيات) التي كانت تتسم بها مواقف القوى الفلسطينية الحزبية من فكرة المنظمة" [التشديد في الأصل].

ويضيف شفيق الحوت: "لقي الشقيري كل الترحيب، في كل مراكز التجمع الفلسطيني، ولذلك فلم يبالي كثيراً بمعارضة التنظيمات الصاعدة، كما أنه لم يقلق قط من موقف المفتي". ونجح في تجاوز كل العقبات التي وضعت أمامه على المستوى العربي (أنظر: شفيق الحوت، "عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية: أحاديث الذكريات (1964 - 1984)", بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1986، ص 86 - 88).

العلاقات بالملوك والرؤساء العرب

من جهة أخرى، توفر لنا مذكرات أحمد الشقيري معلومات مثيرة عن مواقف الدول العربية المختلفة من مسألة تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية وتطورها خلال أربعة أعوام، وعن العلاقات التي قامت بين رئيس المنظمة وبين الملوك والرؤساء العرب، والتي يجمل الشقيري حصيلتها بقوله: "وكانت حصيلة كل ذلك، أنني قضيت أيامي وأعوامي في منظمة التحرير، وفي عنقي ثلاثة عشر حبلاً، يمسكها ثلاثة عشر ملكاً ورئيساً" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1208).

فمن هذه المذكرات، نتبين أن الخلاف الذي نشأ في سنة 1963 بشأن أزمة اليمن بين الشقيري، الذي كان يرأس وفد المملكة العربية السعودية إلى الأمم المتحدة، وبين الأمير فيصل ولي العهد السعودي، والذي انتهى بإقالته من منصبه، قد ترك انعكاسات سلبية على العلاقات التي قامت بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة المملكة العربية السعودية، بعد أن أصبح فيصل ملكاً. ففي مؤتمر القمة العربي الثالث، الذي عقد في الدار البيضاء في أيلول/سبتمبر 1965، اشترط الملك فيصل، الذي كان يدعم الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني، أن يتأسس الكيان الفلسطيني بصورة ديمقراطية عن طريق الانتخابات، وأن تتم هذه الانتخابات بعيداً عن المنظمة، وأن يتولى الإشراف عليها "القضاة الشرعيون" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1300).

ويتحدث الشقيري بالتفصيل، في فصل خاص من كتابه المعنون "من القمة إلى الهزيمة.. مع الملوك والرؤساء"، حمل عنوان "صداقتي وعداوتي مع بورقيبة"، عن الصداقة القديمة التي ربطته بالحبیب بورقيبة، الذي تعرف إليه في مدينة عكا عندما كان مناضلاً من أجل استقلال بلده، وعن الزيارة التي قام بها إلى تونس في نهاية سنة 1963 للمشاركة في احتفالات جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت، وعن الحوار الذي دار بينه وبين الرئيس التونسي، والذي أشار فيه هذا الأخير إلى "الأخطاء" العربية في عدم التزام الواقعية تجاه قضية فلسطين. ثم يتطرق إلى الأسباب التي جعلت تلك الصداقة تتحول إلى عداوة، ولا سيما في إثر الزيارة التي قام بها الحبیب بورقيبة إلى مصر والأردن، في شباط/فبراير 1965، والخطب التي ألقاها في مدن الضفة الغربية ومخيماتها، والتي دعا فيها إلى "الاعتراف بالأمر الواقع على أساس الاحترام المتبادل بين إسرائيل والعرب"، معتبراً أن "التعايش السلمي" بين الدول العربية وإسرائيل "هو الحل الوحيد لتسوية القضية الفلسطينية" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1127 - 1140).

ويُفرد الشقيري عشرات الصفحات في مذكراته للحديث عن علاقاته الشائكة بالملك حسين، وعن أسباب الخلاف المبكر الذي نشأ بينه وبين العاهل الأردني بعد أن رفض هذا الأخير مطالب منظمة التحرير بفرض التجنيد الإجباري على الفلسطينيين في الأردن، وتسليح القرى الأمامية في الضفة الغربية، وإقامة معسكرات تدريب للشباب والطلبة الفلسطينيين، وإنشاء فرق للدفاع المدني، وعن اتهام الملك له بمحاولة التفريق بين الأردنيين والفلسطينيين داخل المملكة، وعن سعيه الذي لم يتكلل بالنجاح، بهدف رد هذه التهمة، لضم عدد من "الإخوان الأردنيين" إلى قيادة المنظمة " (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1193 - 1195).

ويتوقف مطولاً، في هذا الصدد، عند الحملة القمعية التي استهدفت أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن، بعد انتهاء أعمال الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في غزة في أيار/مايو 1966، والذين اتهموا بالانتساب إلى أحزاب ومنظمات "تخريبية"، وعند الخطاب الذي ألقاه الملك حسين في عجلون، في 14 حزيران/يونيو 1966، والذي هاجم فيه منظمة التحرير الفلسطينية "في شيوعيتها"، وفي "عوغائية رئيسها"، وحمل فيه على الاتحاد السوفياتي والصين، كما يتوقف عند الخطاب الذي ألقاه هو للرد على خطاب الملك، والذي دعا فيه إلى إجراء استفتاء شعبي في الأردن يطرح الثقة أمام الشعب برئيس منظمة التحرير " (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1368 - 1370، 1405).

ثم يفرد حيزاً كبيراً للحديث عن المصالحة التي جرت بينه وبين الملك حسين في القاهرة، لدى زيارة هذا الأخير للعاصمة المصرية، في 30 أيار/مايو 1967، لتوقيع معاهدة الدفاع المشترك بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة، وعن الحوار الذي دار بينه وبين العاهل الأردني في الطائرة التي أقلتهما إلى عمان، وعن المقترح الذي تقدم به والقاضي بأن تسمح الحكومة الأردنية بدخول قوات جيش التحرير الفلسطيني من درعا إلى الأردن، لتساهم في الدفاع عن بيت المقدس، وكيف أن الملك رفض ذلك المقترح، خشية أن يثير هذا الموضوع حساسية معينة في الجيش الأردني، كما رفض الملك فيما بعد المقترح الثاني الذي تقدم به، في اللقاء الذي جمعه بالملك عشية اندلاع حرب الخامس من حزيران/يونيو، والقاضي بتوزيع الأسلحة على سكان الضفة الغربية، تحسباً من أن يؤدي توزيع الأسلحة - كما ذكر الملك - إلى "حصول فوضى" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1611 - 1614، 1618، 1620، 1635).

كما يتطرق الشقيري في مذكراته إلى العلاقات الصعبة التي نسجها مع قادة حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية، ولا سيما مع أمين الحافظ ونور الدين الأتاسي ومنيف الرزاز وعبد الكريم الجندي وإبراهيم ماخوس، الذين أصروا، في البدء، على قيام الكيان الفلسطيني عن طريق الانتخاب، وعلى انتقال السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة إلى أيدي الفلسطينيين، على اعتبار أن الكيان الفلسطيني "لا يصلح من دون أرض"، ثم صاروا يدعون إلى تווيز منظمة التحرير الفلسطينية وتشكيل جبهة وطنية تضم جميع المنظمات الفلسطينية، بما فيها منظمة التحرير، ويتدخلون في الشؤون الداخلية لجيش التحرير الفلسطيني. ويرجع الشقيري صعوبة علاقاته بقيادة البعث في سورية إلى اقتناع تلك القيادة بأنه كان "عميلاً" لجمال عبد الناصر (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1031 - 1034، 1122 - 1123، 1196 - 1200).

وإذا كانت علاقات الشقيري بزعماء الأردن والسعودية وتونس، كما يعرضها في مذكراته، قد اتسمت بالجفاء، واتسمت بالتوتر مع زعماء سورية، فهي قد اتسمت بالود مع القيادة المصرية، وتحديداً مع الرئيس جمال عبد

الناصر، الذي بقي الشقيري يكن له كل التقدير والاحترام، وذلك على الرغم مما شاب علاقتهما من فتور في بعض الأحيان. وظل الشقيري طوال حياته السياسية يتجنب توجيه النقد إلى الرئيس جمال عبد الناصر حتى بعد بروز خلافات سياسية بينهما، وحتى بعد أن اتضح له، في نهاية سنة 1967، أن القاهرة باتت تدعم معارضيه في المنظمة وتتمنى تنحيه عن رئاستها.

ويسهب الشقيري في عرض وقائع اللقاءات الحميمة التي كانت تجمعها بالرئيس جمال عبد الناصر، ومنها اللقاء الذي جمع بينهما في بيت هذا الأخير في منشية البكري يوم 24 تموز/يوليو 1967، والذي تمحور الحديث خلاله حول مجريات حرب حزيران/يونيو ونتائجها، إذ ينقل عن الرئيس جمال عبد الناصر قوله: "المعركة أشبه بالحلم، بالخيال، لا أكاد أصدق ما وقع، المعركة انحسرت في اليوم الأول، بعد أن دمر العدو سلاحنا الجوي ومطاراتنا. القيادة العسكرية وقعت في ارتباك شديد. أنا كنت أقدر أن المعركة واقعة لا محالة، وأنها ستقع في الخامس من حزيران/يونيو، وأن الضربة الأولى ستكون موجهة على سلاحنا الجوي، وأنا حذرت القيادة العسكرية بنفسني، ولكن القيادة العسكرية لم تأخذ الموضوع بالجد الكافي [...] إن نكبتنا هي نتيجة أخطاء متراكمة منذ سنين. بعض الناس يظنون أنني أنا الحاكم بأمر الله في القاهرة، وأنه كان يجب عليّ أن أتجنب كل الأخطاء. أنا لا يمكنني أن أكون بجوار كل ضابط وكل موظف لأطمئن على أنه يقوم بواجبه على أكمل وجه. البلد فيها مراكز قوى كثيرة غيري، أنا لست مسيطراً على كل شيء." ويضيف جمال عبد الناصر: "أنا أعلنت عدة مرات أنني أتحمّل المسؤولية كاملة بالنسبة إلى النكسة التي حلت بنا. والواقع أن حزب البعث يتحمل المسؤولية الكبرى. ألم يكن حزب البعث هو الذي كان يتحرش بإسرائيل في منطقة الحولة؟ ألم يكن هو الذي يتعرض للمستعمرات اليهودية على الحدود باستمرار؟ ألم يكن هو الذي استغل حماسة الشباب الفلسطيني وكان يحرضهم على أعمال فدائية قبل أن نستكمل استعداداتنا العسكرية؟ لقد فعلت كل جهدي لأتفاهم مع حزب البعث في سورية ولكني لم أنجح، إنهم يريدون رأس عبد الناصر" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1784 - 1796).

مرة أخرى عن

صدقية معلومات كاتب المذكرات

لكن إلى أي حد يمكن للمؤرخ الوثوق بصدقية المعلومات التي يوردها كاتب المذكرات عن حواراته مع الأشخاص الآخرين بعد أن يكون هؤلاء قد غابوا عن مسرح الحياة؟

إني أطرح هذا السؤال لأن أحمد الشقيري يورد وقائع لقاءاته مع الرئيس جمال عبد الناصر بعد وفاة هذا الأخير. وتزداد مشروعية مثل هذا السؤال عندما يكون محور اللقاءات قضايا حساسة كتلك التي دارت في اللقاء الذي جمع الشقيري مع الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر خلال زيارة الملك حسين للقاهرة في نهاية أيار/مايو 1967، إذ ينقل رئيس منظمة التحرير الحوار التالي: "استطرد الرئيس عبد الناصر ليقول: (إن شاء الله تنتهي هذه المعركة بتحرير فلسطين.. ونحن من جانبنا موافقون على إلحاق قطاع غزة بالأردن تحت حكم جلالة الملك.. وما رأي الأخ أحمد، أليس كذلك؟)، قلت: (والله أنا لا أملك إلا نفسي.. قطاع غزة لأهل القطاع وللشعب الفلسطيني.. والشعب الفلسطيني هو الذي يقرر مصيره [...]). وعاد الرئيس عبد الناصر إلى الكلام على قطاع غزة، كمن يقدم طبقاً من الحلوى إلى طفل صغير، فقال: (قطاع غزة جزء من فلسطين، ولازم ينضم إلى الضفة الغربية، والملك حسين أولى أن يحكمه من أن يحكمه المشير عامر.. أليس كذلك؟)، فأجاب المشير عامر (وكأن قطاع غزة من اختصاصه): (نحن غير مستفيدين من قطاع غزة بأي حاجة.. وإذا كان الملك حسين يريد يضم إليه العريش!!). وانفجرت أسارير الملك." (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1613 - 1614).

لقد حاولت أن أتأكد من صدقية هذه الواقعة، فرجعت إلى بعض المصادر، ومنها كتاب فيصل حوراني عن "الفكر السياسي الفلسطيني 1964 - 1974: دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية" (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1980)، فاكتشفت أن حوراني ينقل عن جمال الصوراني "أن أحمد الشقيري روى وقائع لقاءه هذا، في حينه، بصورة مختلفة عما أورده في كتابه"، كما ينقل عن نمر المصري: "أنه لم يسمع بها [الواقعة] في حينه"، وينقل عن أسامة النقيب، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير آنذاك، "أنه لم يسمع بها واستبعد وقوعها" (أنظر: "الفكر السياسي الفلسطيني"، ص 75 - 76، 243).

طبعاً إن مذكرات أحمد الشقيري تتطرق إلى أمور كثيرة أخرى تتعلق بتلك المرحلة الأولى من تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية، إلا إن حيز هذه الورقة لا يسمح بالتعرض لكل هذه الأمور.

المسكوت عنه في مذكرات أحمد الشقيري

أنتقل الآن إلى مسألة أخرى يواجهها الباحث عندما يحلل المذكرات، وهي المتعلقة بالمسكوت عنه فيها، إذ سأوقف عند قضية استقالة أحمد الشقيري من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية في 24 كانون الأول/ديسمبر 1967. فالشقيري الذي يقدّر أن "خلعه" عن رئاسة المنظمة كان بتدبير "حلف ثلاثي" جمع الملكين حسين وفيصل والرئيس بورقيبة، ويعتبر أن مؤتمر الخرطوم، "بالقرارات التي اتخذها، وبالقرارات التي ما اتخذها"، كان سيفرض عليه الاستقالة عاجلاً أو آجلاً (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1923)، يسكت عن المعارضة التي صار يشهدها، منذ وقت مبكر، من جانب زملائه في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ولا يشير إلى وجود "نية في التغيير والتبديل" داخل منظمة التحرير إلا لدى تعليقه على المذكرة التي أرسلها سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، في 14 كانون الأول/ديسمبر 1967، يطالبونه فيها بـ "التنحي فوراً عن رئاسة المنظمة"، علماً بأن بعض المصادر التاريخية يذكر أن بداية الانتقادات التي وجهت إلى الشقيري كانت، في أواسط سنة 1965، من الدكتور فايز الصايغ عضو اللجنة التنفيذية والمسؤول عن دائرة الإعلام في المنظمة، ثم تتابعت هذه المواقف النقدية، وشهدت المنظمة استقالات عديدة لأعضاء لجنيتها التنفيذية ومسؤوليها ومديري مكاتبها (أنظر: أسعد عبد الرحمن، "منظمة التحرير الفلسطينية: جذورها، تأسيسها، مساراتها"، نيقوسيا: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1987، ص 94 - 100).

هل "أسلوب التشهير" بالآخرين ممكن؟

أريد أن أنهى هذه الورقة بالسؤال التالي: إلى أي حد يمكن لكاتب المذكرات السياسية أن يلجأ، في معرض انتقاده الآخرين الذين تعامل معهم، إلى "أسلوب التشهير"؟ ومرد هذا السؤال ما رواه أحمد الشقيري عن أمور وممارسات شخصية "فاضحة" نسبها إلى شخصيات سياسية احتك بها، وبعضها كان رحل عن الدنيا عند صدور المذكرات. إذ يذكر، على سبيل المثال، لدى عرضه الحوار الذي دار بينه وبين عبد الكريم الجندي مسؤول الأمن القومي في سورية، بعد انتهاء أعمال مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية في أيلول/سبتمبر 1964، أنه قال لعبد الكريم الجندي في نهاية الحوار: "يبدو أننا اتفقنا، ولنقرأ الفاتحة تيمناً في هذا الاتفاق"، فأجابته الجندي قائلاً: "وهل أنا رجعي حتى أقرأ الفاتحة؟" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1123).

كما يتحدث، في معرض عرضه مداولات اجتماعات وزراء الخارجية العرب في الخرطوم في مطلع آب/أغسطس 1967، عن "ثلاثة أيام تخللتها ليلة سامرة ساهرة على النيل"، فيكتب: "وقد ترددت طويلاً أن أقول كلمة واحدة عن تلك الليلة الحمراء، على باخرة نيلية، حفلت بالشراب والغناء، فإن التصرفات الشخصية من شراب وعريضة ملك أصحابها. ولكني تساءلت ومعني نفر من أمثالي الغرباء عن تلك الليلة الحمراء: (هل هذا الفرح والمرح، هذا الابتهاج والانسراح، احتفال بتحرير فلسطين؟ أما من دقيقة واحدة على الأقل) للتأمل؟" (الشقيري، "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني"، مصدر سبق ذكره، ص 1809 - 1810).

مذكرات مهمة جداً، ولكن..

وفي الخلاصة، أعود إلى ما كتبه أنيس صايغ في تقديمه لمذكرات أحمد الشقيري، فأقول إنني أتفق معه على أن هذه المذكرات قد لا تقل أهمية فعلاً عن "الأيام" لطف حسين وعن "حياتي" لأحمد أمين، إذ هي تشكل إغناء للتاريخ السياسي العربي المعاصر، الذي يعاني جراء شحة وثائق المحفوظات أو جراء صعوبة، بل استحالة، الوصول إليها. كما تشكل مصدراً لا غنى عنه لدراسة سيرورة تكوّن الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة التي جسدها منظمة

التحرير. لكنني أختلف معه في درجة الصدق والأمانة والصراحة، التي تميزت بها تلك المذكرات، إذ ظهر لنا من مراجعتها أن كاتبها تجنب الإشارة إلى كل الأمور التي قد تناقض الصورة التي حاول أن يرسمها لنفسه. في كل الأحوال، فإن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو التالي: هل الصدق قضية حقيقية أم زائفة عندما يتعلق الأمر بالمذكرات؟ وهل يجزؤ كاتب المذكرات على البوح بالحقيقة كاملة؟ بل هل المطلوب منه ذلك، ولا سيما إذا انطلقنا من أن كاتب المذكرات، وخلافاً لكاتب اليوميات، يكتب عن الماضي من موقعه في الحاضر ويعلل ما مر معه من أحداث برؤية لا تنفصل عن هموم هذا الحاضر؟ إن المطلوب من كاتب المذكرات، الذي يختلف عن المؤرخ في أنه لا يستطيع المبادعة بينه وبين الحدث الذي يرويها، أن يقص علينا تجربته كما عاناها، وأن يقدم لنا تفصيلات قد لا يوفرها غيره، وأن يؤنس الحدث الذي يرويها برصده حركة صانعيه بمختلف نوازعهم. وهو عندما يفعل ذلك يكون أسير العقل والعاطفة، والموضوعية والذاتية، والحياد والانحياز. ويكون هدفه في كل الحالات أن يدافع عن نفسه، وأن يبرر مسلكيته في الحياة العامة، وأن يقنع الآخرين بصحة مواقفه (هذا ما يراه، مثلاً، سخيني، مصدر سبق ذكره، ص 80، 82، 84).

بعض التناقضات والأخطاء

هذا فيما يتعلق بمضمون مذكرات أحمد الشقيري. أما من حيث الشكل فقد استوقفتني جملة من الأخطاء والتناقضات التي وردت فيها، والتي أشير فيما يلي إلى بعضها: في كتاب "من القمة إلى الهزيمة.. مع الملوك والرؤساء"، يتحدث عن حيثيات إنشاء إذاعة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكيف أن قيادة المنظمة وافقت على دفع "مبلغ 150 ألف جنيه استرليني" لاستئجار ست ساعات بث من "إذاعة الشرق الأوسط" القاهرية، لكنه في الجزء الثاني من الكتاب المعنون "الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء"، يشكو إلى الرئيس جمال عبد الناصر، خلال لقاء جمعهما على هامش مؤتمر القمة العربي في الخرطوم، أن قيادة منظمة التحرير دفعت "مبلغ 250 ألف جنيه استرليني من أجل إذاعة منظمة التحرير، عن طريق الاستئجار من إذاعة صوت العرب" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1109، 1858).

في كتاب "على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، يشير إلى أنه ألقى خطاب الرد على خطاب الملك حسين في عجلون في 17 حزيران/يونيو 1966، لكنه يذكر فيما بعد أنه "وبعد أسبوعين (1966/6/17) عقدت لجنة الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء اجتماعها الشهري المعتاد للنظر في ما تم إنجازه من مقررات الملوك والرؤساء، وكان خطاب عجلون هو الموضوع الرئيسي على جدول الأعمال" (الشقيري، الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1383، 1405).

يذكر في الصفحة 1430 (المذكرات 2، المجلد الثاني) أنه وجه رسالة إلى الملك حسين في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1967؛ والأصح في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1966.

نجد في الصفحة 1469 (المذكرات 2، المجلد الثاني) إشارتين إلى مذكرة وجهتها وزارة الخارجية الأردنية إلى جامعة الدول العربية تحت رقم (8 - 7 - 17)، ولكن مرة بتاريخ 29 كانون الثاني/يناير 1967 ومرة بتاريخ 29 شباط/فبراير 1967.

يذكر في الصفحة 1583 (المذكرات 2، المجلد الثاني) أن جمال عبد الناصر ألقى خطاباً "في التاسع من شهر أيار/مايو.. قبل أسبوع واحد من الحرب.. في يوم الاثنين.. وفي يوم الاثنين، بعد سبعة أيام، وقعت الحرب؛ والأصح أن الخطاب المشار إليه أُلقي في التاسع والعشرين من أيار/مايو 1967.

يذكر في الصفحة 1719 (المذكرات 2، المجلد الثاني) أنه وجد بعد عودته إلى القاهرة مظروفاً "يحتوي على رسالة من الملك حسين إلى الملوك والرؤساء بتاريخ 8/6/1976. ولا شك في أنها كتبت بعد سقوط القدس". والأصح أن تاريخ الرسالة المذكورة هو 8/6/1967. ■

المراجع

- "أدب السيرة الذاتية والمذكرات في الأردن، ملتقى جامعة آل البيت الثقافي الثاني، 11 - 12 أيار 1998". المرفق: منشورات جامعة آل البيت، 1999.
- حوراني، فيصل. "الفكر السياسي الفلسطيني 1964 - 1974: دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية". بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1980.

- الشقيري، أحمد. "الأعمال الكاملة، المذكرات (1)، المجلد الأول". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، آذار/مارس 2006.
- ———. "الأعمال الكاملة، المذكرات (2)، المجلد الثاني". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، نيسان/أبريل 2006.
- عبد الرحمن، أسعد. "منظمة التحرير الفلسطينية: جذورها، تأسيسها، مساراتها". نيقوسيا: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1987.
- عبد الستار، مؤيد. "السيرة الذاتية: دراسة نقدية". السويد: دار المنفى، 1996.
- قاسمية، خيرية. "أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً قومياً". الكويت: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، 1987.
- لوجون، فيليب. "السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي". ترجمة عمر حلي. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1994.
- ماي، جورج. "السيرة الذاتية". تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة. قرطاج: بيت الحكمة، 1992.

(*) باحث فلسطيني مقيم بدمشق.

(**) قدمت هذه الورقة في الندوة الدولية التي عقدها المعهد الفرنسي للشرق الأدنى في دمشق يومي 19 و20 حزيران/يونيو 2007، عن "السير الذاتية في بلاد الشام: موضوع للدراسة ومصدر للبحث في العلوم الإنسانية"، وأشرف على تنظيمها ماهر الشريف وقيس الزرلي.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر: http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx